

(لـيس مـنْ ديدنـ الشعراءـ الشامخين)

لا ترضَ أن يكونَ ميدانُكَ في غيرِ ميدانِهِم

فإنْ رضيتَ فأنتَ وشأُكَ

عشْ حياتاً لا حياتَكَ إنْ أذعنتَ لِمَا هو مطروحٌ في الطرقات

مِنَ المعاني التي لمْ تنبعْ مِنْ دواخلِ مَنْ طرحوها

مِنَ المعاني المستعارةِ مِنَ الأغيارِ

حتى ذو الذوقِ لا يستعيرُ كتاباً في تناولِ يدِهِ أثناءَ ارتيادِ المكتبةِ

يبقى طويلاً يفتشُ يفحصُ يُقلِّبُ الكتبَ بيديه

بعينه يُقلِّبُها بقلبهِ بوجدانهِ

يفعلُ ذلكَ حتى لو كانت الاستعارةُ مجَّانيةً

لكنَّ مَنْ يستعيرُ مِنَ الأغيارِ لا يفعلُ ذلكَ

هو يستعيرُ وقد يذهبُ إلى أبعدِ مَنْ ذلكَ

قد تكونُ الاستعارةُ بمثابةَ نسبةٍ إلى الذاتِ

وتكونُ بحيثُ يَـتَـهـمُـا بـنـكـهـتـهـا

بتفـعـيـلٍ مـشـغـلٍ إـعـادـةً تـدوـيـرٍ الكـلـمـات

وإـعـادـةً تـدوـيـرٍ مـعـانـيـها الـتي تـُـرـمـى فـي لـجـجٍ غـمـوضٍ لـكـيـلا يـبـيـنَ أـمـرُـها

حـتـى أـلـعـابُ الـانـتـحـالِ القـديـمـةُ يُـعـادُ تـدوـيـرُـها

لـذـلـكَ كـانَ كـُلُّـهُ ما أُـخـِـذَ مُـمـلـاً؛ فـلا اـحـتـرافَ فـي طـريـقـةٍ أُخـِـذَـهـ.

لا اـحـتـرافَ وـلا ذـكـاءَ فـي طـريـقـةٍ تـقـديـمـه

فإيـَّـاكَ أنْ تـَنـبـهـرَ بالأخـذِ لئـلا تـأخـذَـكَ زـوبـعةُ النـسيـانِ

كـن كـالـشـعـراءِ الشـامـخـينَ فـي شـمـوـخـهـم

فـي تـرفـعـهـم عـن رـكـوبِ لـجـجِ الأخـذِ

فـلـيـس مـنْ دـيـدنَ الشـعـراءِ الشـامـخـينَ النـسـجُ عـلى مـنـوالٍ لـيـس لـهـم

إنَّ كـلـمـاتـهـم تـنـبـعُ مـنْ ذـواتـهـم

هـي مـثـلُ مـعـانـيـهـم الـتي لـم تـكـن مـطـروـحـةً فـي الطـرقـات

مـعـانـيـهـم الـتي تـتـدفـقُ مـنْ أعـماقِ الرـوحِ

وهم لـغـنـاهـم لا يـتـكـبـرون تـكـبـُّـرَ مـنْ ضـيـعَ طـريـقِ الإـبـداعِ

مـنْ يـرى نـفـسَـهُ فـي القـمـةِ وـلا يـرى أحـداً سـواـه

مَنْ يُقَدِّمُ ما اقترَفَهُ بزَهْوٍ لا حدودَ له

يريدُ أن يكونَ لكَ أباً روحياً في الشَّعرِ

ويكونَ إماماً مرشداً في مفاهيمِ الشَّعْريَّاتِ

يجلدُ عالمَكَ الشَّعْريَّ كُلَّهُ

يُقيمُ الحدَّ على الدهرِ الذي أنشدَ شَعْرَ أبي مُحَسَّـدٍ

وعلى مَنْ يُشاركُهُ في الإنشادِ أيضاً يُقيمُ الحدَّ

ثُمَّ يدعوكَ لتنضمَّ إلى العابِـهِ التي يعرضُها بفخرٍ بغرورِ

يتحمَّسُ لها غايةَ التَّحمُّسِ، يندفعُ ذلكَ الاندفاعَ

يرفعُ مَنْ شأْنِها ويُقَلِّلُ مَنْ الشَّأنِ الذي أنتَ فيه

يزدري الرِّيحَ التي تُلاعبُ سجَّادَتَكَ البرتقاليةَ، رملةَ دهنائِكَ

حتى جبلَ رضوى يزدرِيه

حتى جبلَ القارةِ، حتى جبلَ أبي قُبَيْسٍ

حتى جبلَ التَّوبادِ الذي صارَ له قَلْبٌ وصارَ له وجدانُ

صارَ قيساً صارَ ليلي صارَ أنتَ

حتى أنتَ يزدرِيكَ، يزدرِي قصيدَتَكَ

ينظرُ إليك وإليها باستعلاء

لكنَّكَ صرْتَ لا تُعِيرُهُ أَيَّ اهْتِمام

صرْتَ لا تقتربُ منه، صرْتَ إليك - أنتَ زَعَمٌ، صرْتَ إليك

فالشغرى الذي فيك ينهاك عن الاقترابِ منه

يجعلُكَ عدوّاً تطوي البیدَ طيّلاً

تقتفي أثرَ مَنْ مرَّ فيها مِن الشعراء

يُسمعُكَ الها تَفُ أصواتَهم

حتى الشيخُ حتى القيصومُ يُسمعانِكَ كي لا تنسى

كي لا يكونَ للألعابِ المستعارةِ أثرٌ في خيمةِ نابغتكِ

كي ترى نجومَ السماءِ تستمدُّ لمعانَها مِن أَلْقِكَ الشَّعري

كي تخطوَ الخطوةَ الأولى نحوَ الشعراءِ الشامخين

فالشعراءُ الشامخونَ مِن ذواتِهِم ينطلقون

وبها يسافرون إلى المعنى إلى معنى المعنى

وهم بما هم كانوا، وبما هم يكونون

هم لا ينظرون إلى مَنْ يزدريهم ولا إلى الهبات

أرأيتَ جبلاً يهتمُّ بصغيرِ ربح

بثرثرتهِ التي مهما علتُ تتلاشى

هكذا الشعراءُ الذين خُلِقَتْ أصواتُهُم للخلود

أصواتُهُم التي لا تَعبأُ بما لا يُعبأُ بهِ مِنْ هبَّاتٍ لا عمقَ لها ولا امتداد

سوى هبَّاتِ القلبِ التي تُعدُّ مِنْ مَنَاحِ الشعراءِ المنتظرةِ

وبها يذوبُ الشعراءُ الشامخون

نعم بها يذوبون وفيها

فيها تُولَدُ الجُمْلُ التي لها طعمُ الحياةِ

لها النكهةُ المميّزةُ الخاصةُ

نكهةُ تُحَسُّ ولا تُوصَفُ

حتى لو كانت الكلماتُ هي الكلمات

هي تبعثُ فيكَ إحساساً يأخذُكَ إلى آفاقِ الآفاقِ

ويُعيدُكَ مِنْ جديدٍ منتشياً كي تحيا

كي تتماهى مع التوبادِ الذي صار له قلبُ وصار له وجدان

صار قيساً صار ليلي صار أنت

كي ترى نفْسَكَ بما أنتَ أنتَ

كي تتناغمَ مع مجدِ أرضِكَ الشَّعْريِّ الذي لا يُنسى

كي لا تُنسى أنتَ متى ما كنتَ أنتَ أنتَ

وكي تُواصلَ سيرَكَ في هذا الوجود.